سبب اهمال ذكر مطبعة المقتطف عند ذكرنا سائر الكتب التي طبعت فيها واتى على ذكرها كقانون المرافعات وحضارة الاسلام وقاموس ورتبات والاهوية والمياه والبلدان ونسمات الاوراق مع ان مطبعة المقتطف مذكورة صريحاً فيها ولم يتكرَّم بذكرها الاَّ بالاضافة إلى هذا الكتاب وعلى ذكر مطبعة المقتطف نقول ان اكثر الكتب التي طبعت فيها كشرح قانون التجارة وسفر السفر الى معرض الحضر وسفر السلام الى بلاد الشام والاعلام الشرقية وقاموس سبيرو وغير ذلك من الكتب الجليلة لم يذكر في الفصل المشار اليهِ وسنذكرها بالتفصيل في ملحق آخر ثمة للفائدة

﴿١٧﴾ الجرائد اليوميَّة الَّتي يكتب اربابها في الاقتصاد والاخلاق والتاريخ لها شأن كبير في هذه النهضة العلميَّة . ولقد عانينا التأليف سنين كثيرة ونقول ولا نخشى لومة لائم ان بعض مقالاتنا الاقتصادية والتاريخية في المقتطف كلفتنا من عناء الدرس والبحث والسؤال ما يكفي لتأليف كتب كثيرة . اما الترجمات كتقارير اللورد كرومر وخطب كبار رجال السياسة ونحو ذلك مما ينشر في المقتطف وغيره من الجرائد اليوميَّة فان لم يكن لهُ تأثير في هذه النهضة وكان لا يستحق الذكر فليس في مطبوعات العصر شيء يذكر

هذا واننا لم نقصد بهذه العجالة ان نذكر كل الكتب الَّتي فاتت الكاتب ذكرها بل ان نقتضي فرضاً واجباً وهو الاشارة إلى نقص يجب اتمامهُ وعسى ان يتلافاهُ في طبعة أخرى من كتابهِ ولله الكمال على كل حال

الحميات الملارية واسبابها

الملاريا كلمة ايطاليَّة عامية معناها الهواء الفاسد (من مالا فاسد واريا هواء) ويراد بالحميَّات الملارية ما كان كالبرداء ونحوها من الحميات المتقطعة الَّتي تصيب سكان البلاد القريبة من الآجام والمستنقعات . وكان المظنون ان سببها المتصعدات الاجميَّة ثم بحث الدكتور لافران الفرنسوي عن سببها سنة ١٨٨٠ وهو حينئذٍ في بلاد الجزائر فاكتشف في دم المصابين بها انواعاً من الاحياء الميكرسكوبيَّة مختلفة الاشكال توجد فيهِ ما دام الانسان مريضاً بها وتزول منهُ متى شفي

الاَّ ان الاطباء لم يحفلوا بهذا الاكتشاف حينئذٍ ولا سيما في المانيا وذلك لان الدكتور

كلبس الباثولوجي الالماني الشهير كان قد اكتشف هو والدكتور توماسي كرودلي الايطالي نوعاً من الباسلس حسباه سبب الحميات الملارية وسماه باسلس الملاريا (*Bacillus malaria*) وهو يستخرج من الطين في الاراضي الملارية . واعاد الدكتور سترنبرج الاميركي تجارب كلبس وكرودلي في اميركا فلم يجد ما يؤيد النتيجة التي استنتجاها . الا ان اكثر علماء الطب في اوربا واميركا اخذوا بقولها وحسبوا باسلس الملاريا سبباً للحميات الملارية . ثم تغلب مذهب لافران على مذهبهما واثبته الدكتور سترنبرج في اميركا سنة ١٨٨٦ فانه اتى رومية سنة ١٨٨٥ مندوباً في المؤتمر الصحي العام وزار احد مستشفياتها ورأى ميكروب الملاريا (*Plasmodium malaria*) في دم المصابين بالحمى المتقطعة يتحرك حركة بطيئة في كريات الدم الحمراء وتظهر حركته بتغير شكله ثم يصير شكله كروياً ويسكن مدة . ترى في الصفحة التالية بعض الاشكال التي يتشكل بها هذا الميكروب في كريات الدم مدة اربع وعشرين ساعة . ثم عاد الى اميركا واثبت وجود هذا الميكروب في مستشفى جنس هيكنس سنة ١٨٨٦ وكان كثيرون قد سبقوه الى اثباته في فرنسا وايطاليا وانكلترا

ويظهر مما اثبته بعض هؤلاء العلماء ان الميكروب الذي يسبب الحمى الملارية يدخل كريات الدم الحمراء ويغتذي بها وينمو حتى يبلغ اشده ثم ينقسم اقساماً صغيرة وكل منها يدخل كرية جديدة كما ترى في الاشكال التالية . والظاهر ان ادوار الحمى مسببة عن ان هذه الميكروبات تبلغ اشدها وتنقسم في اوقات محدودة فميكروب الحمى المثلثة مثلاً يتم نموه في يومين وميكروب حمى الربع يتم نموه في ثلاثة ايام . وتختلف انواع الميكروبات الملارية باختلاف الحميات وقد يكون منها في البدن نوع واحد دخله في وقتين مختلفين فيبلغ بعضه اليوم وبعضه غداً ولذلك تتكرر الادوار يومياً . واذا كانت الميكروبات كثيرة في الدم فالحمى شديدة الوطأة والا فهي خفيفة

وميكروب الحمى المثلثة يزيل لون كريات الدم الحمراء حالاً واما ميكروب حمى الربع فلا يزيل لونها الا حينما تفسد وتزول

ومن المحقق ان الكريات الحمراء تفنى من دم المصابين بحمى ملارية وان الميكروب الذي تنسب اليه تلك الحمى يزول اذا استعملت لها الكينا بجرعات مناسبة . وقد ثبت ايضاً انه اذا حقن انسان سليم بدم انسان مصاب بحمى ملارية فيه من ميكروب تلك الحمى عدي بها وذلك كله من الادلة القاطعة على ان هذا الميكروب هو سبب الحمى

وهنا تبرق اسرة القارىء سواء كان من طالبي الحقائق او من الخائفين من الحميات

ويقول اذا عُرف سبب الداء امكن اجتنابهُ فاين مقر هذه الميكروبات حتى نستأصلها او نتجنبها على الاقل . والجواب ان العلم لم يكتشف مقرها حتى الآن مع ان رجالهُ فتشوا عنها في ماء الآجام والمستنقعات وحمأتها ولو كانت البلاد التي حولها مشهورة بكثرة الحميات . وعدم اكتشافها هناك لا ينفي وجودها بل يدلُّ على ان الوسائل المعروفة لا تكفي لفصلها عن غيرها من الميكروبات الكثيرة الاشكال والانواع ولا يبعد ان نعرف اليوم او غدًا وسائل اخرى تكفي لذلك

وقد ظن الدكتور مشون ان ميكروب الملاريا لا يبلغ الدرجة التي يصير فيها قادرًا على إحداث الحمى في الانسان ما لم يدخل جسم البعوض (الناموس) اولاً ولذلك امثلة كثيرة

١ ٢ ٣ ٤

الشكل الاول (١) و(٢) صور من مكروب الملاريا في كرية الدم وتغيرهُ فيها في ٣٠ دقيقة . و (٣) مكروب آخر على صورة اخرى . و (٤) صورة ميكروب زالت حركتهُ وكاد يخرج من كرية الدم وذلك بعد زوال الحرارة واخذ الكينا

١ ٢ ٣

الشكل الثاني (١) صورة ميكروب الملاريا عند اول دخوله كرية الدم الحمراء (٢) صورتهُ بعد ان نما كثيرًا (٣) صورتهُ بعد ان قسم وكاد يفرّق وتدخل اقسامهُ كريات اخرى

في الديدان التي لا يتهيأ لها الدخول في جسم الانسان ما لم تدخل جسم حيوان آخر قبلهُ . ومن رأيه ان البعوض ينقل هذا الميكروب في المستنقعات فيشرب الانسان مائها ويشرب الميكروب معهُ او تجفُّ المستنقعات وتعبث الرياح بالتراب الذي في ارضها فتنتشر الميكروبات في الهواء ويتنفسهُ الانسان فتدخل جسمهُ . وارتأى الدكتور سترنبرج ان ميكروب الملاريا يعيش على النباتات المائيَّة لا في الماء نفسهِ بدليل ان الملاريا لا تنتشر في بلاد ما دام الماء غزيرًا فيها غامرًا للنباتات المائيَّة فاذا قلَّ الماء وظهرت النباتات وتعرَّضت للهواء عاش الميكروب عليها لانهُ يحتاج الى الاكسجين كما يظهر من دخوله كريات الدم الحمراء الكثيرة الاكسجين . ثم ان البعوض يغتذي من عصار النبات فاذا وقع على النباتات المائيَّة ليمتص

عصارها امتصّ معهُ ميكروب الملاريا ولا يبعد انهُ ينقلهُ الى الانسان بعد ذلك . ومن العلماء من يقول ان البعوض لا يعدي الانسان بالملاريا بل يقيهِ منها وذلك انهُ لا يكون الاَّ حيث الهواء مشحون بميكروبات الملاريا فاذا وقع على انسان ولسعهُ ادخل في جسمهِ جراثيم ضعيفة من الملاريا تقيهِ من تلك الجراثيم القوية كما يقي الطعم المطعَّم من الجدري . وسواء صحَّ هذا القول او صحَّ القول الاول فلا شبهة في ان كثرة البعوض في مكان تدلُّ على كثرة الملاريا فيهِ

وميكروب الملاريا ليس من انواع البكتيريا المعروفة الآن من النباتات كميكروب الكوليرا وباشلس السل والطاعون بل هو من الحيوانات الدنيا المعروفة بالبروتوزوى اي الحيوانات الاولى وهذا مما يجعل البحث عنهُ اعسر من البحث عن البكتيريا لان انواع البكتيريا ثابتة الشكل وتتلوَّن باصباغ الانيلين فيمتاز بعضها عن بعض بسهولة واما البروتوزوى فتغيرة الشكل ولا تتلوَّن بسهولة وقلما يسهل استفرادها بالاستنبات . ورؤيتها بالميكرسكوب اصعب من رؤية البكتيريا ولذلك كلهِ لم يتسنَّ لكثيرين البحث عنها . والارجح ان ميكروب الجدري من هذا القبيل ولذلك لم يكتشف حتى الآن او هو نفس الميكروب الذي اكتشفهُ غوارنياري سنة ١٨٩٢ واثبت فيغر وجودهُ سنة ١٨٩٥ وهو من البروتوزوى لا من البكتيريا

والظاهر انهُ اذا دخل ميكروب الملاريا جسم الانسان ووصل الى دمهِ قابلتهُ كريات الدم البيضاء مقابلة الحارس الامين القائم على حراسة البدن ولما لا ترى لها سبيلاً لطردهِ تبتلعهُ ابتلاعاً فيوجد في جوفها على درجات مختلفة من النمو بحسب حالتهِ وقتاً تبتلعهُ . وقد شاهد ذلك كثيرون من الباحثين قال الدكتور بنتاني الايطالي انهُ رأى كريات الدم البيضاء وقد ابتلعت ميكروب الملاريا الخبيثة وابتلعت ايضاً كريات الدم الحمراء التي دخلها هذا الميكروب . ووجد الدكتور بنتاني كريات الدم البيضاء تبتلع ميكروب الحمَّى المثلثة وحمَّى الربع وحمَّى الخريف ولا تكتفي بابتلاعهِ بل تبلع جراثيمهُ وتبلع ايضاً كريات الدم الحمراء التي تحويهِ

فيتَّضح مما تقدَّم ان الحميات التي تصيب كل احد تقريباً ولو مرةً في العمر ويكثر حدوثها في البلاد الاجنبيَّة ولا سيما في الاقاليم الحارَّة سببها حيوان صغير من ادنى انواع الحيوانات يدخل جسم الانسان مع الهواء الذي يتنفسهُ او الماء الذي يشربهُ او يدخلهُ من البعوض الذي يلسعهُ ويصل الى دمهِ ويدخل بعض كرياتهِ الحمراء ويتغذى بها ويربو فيها ثم ينقسم اقساماً كثيرة تقوم مقام ولادة النسل في الحيوانات العليا وتدخل اقسامهُ كريات اخرى من كريات الدم وهلمَّ جرًّا . والظاهر ان الكينا تضطرُّ هذا الحيوان الى الخروج من كريات الدم ولا يبعد انها تميتهُ بعد ذلك فينجو الانسان من شرِّهِ